ملخص

التصوف الإسلامي وفلسفة التسامح

فندق وصال
نواكشوط – موريتانيا

09 - 10 نوفمبر 2017

إبراز:

يتجلى الفكر الصوفي فضاءً من المحبة والصفاء الروحي والتسامح الديني داخل بنيات الأخلاق الروحية وقيمها العليا، حاملة ينابيع الفيض الروحي الذي من شأنه أن يرقى بالذوق الإنساني إلى درجات عليا من التسامح في إدراك الأوجه المتعددة للحقيقة، بالإضافة إلى قدرته على إعطاء معان ثرية ومتجددة للدين والحياة والعلاقة بالكمال المتعالي. التجربة الصوفية نزعة إنسانية ظهرت في كل الحضارات في صور وأشكال متعددة، بوصفها تعبر عن تطلع الإنسان إلى ما وراء المادة، ورغبته في إضفاء المعنى على حياته خارج «المعيش» أو «الراهن»، وسعيه الدائم إلى التواصل مع هذه الحياة الأخرى، أو هذا «الغائب المتعالي». تكمن غايته في تحقيق مستويات عليا من الصفاء الروحي والكمال الأخلاقي. هذا ما نجد صداه في العصر الحديث لدى العديد من المفكرين الذين نادوا بالدين الطبيعي أو النزعة الروحانية.

لا يشذ المسلمون عن القاعدة، حيث قاموا بتطوير ثقافة روحية في غاية الثراء والتنوُّع وتواصلوا بثقافات أخرى على سبيل التأثير والتأثُّر. هل التصوف ملاذ الإنسان في سعيه للإفلات من إكراهات الواقع المعيش؟ هل يلجأ إلى واقع متخيل يصنعه لذاته بمخيلته ومشاعره وأحاسيسه؟ هل يعمل على تنمية مشاعره الوجدانية من أجل التسلح بقيم روحية تعينه على مواجهة مصاعب الحياة المادية، وتحقق فيه قدراً من التوازن النفسي؟ يظهر التصوف جزءًا من «تقنيات» اشتغال الإنسان على ذاته، من أجل إحداث قدر من التوازن بين الرغبات الروحية والمادية لهذا الإنسان، والتماس أجوبة عرفانية للأسئلة الوجودية الحائرة. يكون ذلك بالتواصل مع الذات، والتوكيد على محورية مراقبة الإنسان لنفسه ومحاسبته لها باستمرار، ليصحح أخطاءه ويكمل النفس بالفضائل، ويعتدل في رؤيته إلى الحياة.

ينتهج المتصوفة طريق «التحلي» و«التخلي» وفق قواعد سلوكية أساسها «المجاهدة» بحثا عن «الحق»، والزهد في ما عند «الخلق»، والتخلي عن «الرذائل» والتحلي بـ «الفضائل». هذه حالة نفسية قد يشعر فيها المرء برضاه عن «ذاته»، وبأنه على اتصال بمبدأ أعلى من غير أن يكون قادراً على تبرير هذه «الحالة» معرفياً وسلوكياً. في هذا السياق، يعتبر المتصوفة أن التصوف نزوع روحي نحو تحقيق الكمال النفسي، عن طريق ما يمكن اعتباره نوعا من الاستبطان لروح النصوص الدينية (القرآن الكريم، السنة الشريفة)؛ أي استكناه الشرع في ظاهره للولوج إلى الحقيقة، المعبرة عن «روح» أو «جوهر» الشريعة. لا يتم ذلك إلا بتوظيف حثيث لتقنيات الاشتغال على النفس، كمحاولة للتجرد من متاع الدنيا، بالزهد والتقشف، والدخول في حياة تأملية قوامها الرغبة في السمو بالنفس إلى أعلى مراتب الفضائل. يوفّر المنهج الصوفي مقومات هذه الرغبة في السمو بتثمين قيم التعايش وقبول الآخر والإيمان بالاختلاف والتعدد.

إذا كان مفهوم التسامح مبنيا فلسفياً على أساسين جوهريين؛ وهما الخاصية الأنثروبولوجية في التوكيد على إنسانية الإنسان والضرورة الطبيعية في العلاقة بالآخر تعايشاً وبحثاً عن الاعتراف، فما هي إذاً القضايا والمشاكل الراهنة للمجتمعات المعاصرة التي تجعل من سؤال التسامح موضوعا للتفكير في أبعاده المتعددة؟ هل المثقف العربي المعاصر، بحكم انتمائه الحضاري للثقافة العربية الإسلامية، سيحصر تفكيره بسؤال إشكالي مغاير وخاص يدور حول مفهوم التسامح؟ هل عرف السياق الثقافي العربي الإسلامي حضوراً قوياً لمفهوم التسامح؟ وهل كان مفكَّراً فيه داخل هذه الثقافة، أم أنه يندرج ضمن اللامفكر فيه في الفكر الإسلامي؟

الجلسات البحثية

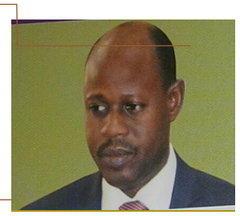

د. البكاي ولد عبد المالك (موريتانيا).

أستاذ الفلسفة المشارك بالجامعات الليبية سابقا / أستاذ بجامعة نواكشوط العصرية/عضو المجلس الوطني للتعليم العالي والبحث العلمي بموريتانيا - وزير التعليم العالي والبحث العلمي (سابقا) باحث يهتم بإشكاليات العدالة في الدولة المعاصرة

عنوان مداخلته:

الأبعاد الفلسفية والأخلاقية للنزعة الإنسانية في التصوف الشنقيطي - دراسة تحليلية لنماذج من مصنفات الإسلام الطرقي

كان الهدف الذي وجهنا إلى هذا العمل هو البحث في شروط إمكان النزعة الإنسانية في الإسلام بصفة عامة، وفي التصوف الشنقيطي بصفة خاصة الأمر الذي يحتاج إلى إعادة التفكير في «الشرط البشري» ذاته وتوسيع نظرتنا للإنسان وللوجود الإنساني، لكي تأخذ في الاعتبار محددات ذلك الوجود من عالم الشهود ومن عالم الغيوب؛ أي من خلال العلاقة الميتافيزيقية بين الله والإنسان.

لذلك، فإن هذه الورقة هي محاولة للإجابة عن السؤال التالي : هل يمكن التفكير في الإنسان وفي النزعة الإنسانية دون افتراض الاستقلال الجذري للإنسان؟ بتعبير آخر هل هناك إمكانية لاستخلاص مفهوم معين للنزعة الإنسانية ليس فقط من خلال مفهوم «المحايثة» والوجود الراهن للإنسان، وإنما أيضا من منظور «المفارقة» والعلاقة مع الوجود المطلق؟

د. محمد أمعارش (المغرب).

باحث في قضايا التأويل والخطاب الديني، صدر له عن منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود، كتاب: النص والاختلاف، هرمينوطيقا الصورة الإلهية عند ابن عربي.

عنوان مداخلته:

نظرية «الاتساع الإلهي» مستندُ القولِ بالتسامح العَقَدي في تصوف ابن عربي.

تَعْتبِر هذه الدراسة المدخل العقدي من أنسب المداخل لمقاربة ظواهر التسامح في التصوف الإسلامي، إذ تَرى أن القول الصوفي بالتسامح، ليس مجرد موقف شرعي أخلاقي تمليه آداب معاملة الخَلْق، بل هو قبل ذلك موقف جذري معرفي أصيل، صادر عن عقيدة مفتوحة في الحق « الواسع» المتسع لكل خَلْقِه رحمة وعلما. ومن هذا المنطلق، تعرض الدراسة أبرز ملامح «نظرية الاتساع الإلهي» في تصوف ابن عربي، وأثرها في نفوره من كل مظاهر العنف واحتكار الحقيقة، واضطهاد الخلق، وفي دفاعه عن الحق في الاختلاف، المستند أصالة إلى الاختلاف في الحق نفسه، معتبرا كلَّ تضييق بشري على الخلق أو احتكار للحق، انقلابا على الاسم الإلهي « الواسع»، وتعطيلا له في العالم الإنساني.

د. سيد الأمين سيد أحمد بناصر (موريتانيا).

أستاذ الفلسفة بجامعة نواكشوط، عضو رابطة العلماء الموريتانيين، مستشار الوزير الأول للشؤون الدينية سابقا، رئيس ماستر الفلسفة حاليا.

من أهم مؤلفاته في العلوم الشرعية «الموسوعة المالكية: مقارنةً بالكتاب والسنة ومذاهب السلف»، من ثمانية مجلدات، ستصدرها الإمارات قريبا، ومن أهم كتبه في الفلسفة « تكون مفهوم الثقالة في الفيزياء الحديثة (دراسة إبستمولوجية)»، وكتاب «إبستمولوجيا الخطاب الفيزيائي من ديكارت إلى نيوتن»، وكتاب «الفلسفة وأزمنة التحولات

عنوان مداخلته:

جدلية الإصلاح والتسامح في الفكر الصوفي: الشيخ ماء العينين والشيخ الشيخان أنموذجين

تدرس الورقة مفهوم الإصلاح في الفكر الصوفي، باعتباره المشروع الذي تأسس عليه هذا الفكر، وتتناول ذلك من خلال إصلاح النفس والجسد، وإصلاح الفرد بناء على ذلك، كي تصل إلى إصلاح المجتمع المتسامح المسالم، الذي ينبذ العنف والتكفير والتطرف، وتدرس الورقة العلاقة الجدلية بين هذا الإصلاح وبين مفهوم التسامح، الذي سماه بعض الصوفية بالأدب، وسماه بعضهم بالحب أو ديانة الحب، التي لا تميز بين الأديان والثقافات والمجتمعات بما تفرضه من حب وتآلف بين أفراد المجتمع.

اعتمدت الورقة على دراسة نموذجية، تمثلت في التصوف الشنقيطي، من خلال مدرستين عريقتين، هما الطريقة القادرية والطريقة التجانية، نموذج الأولى الشيخ ماء العينين بن مامين، ونموذج الثانية شيخ الشيخان بن الطلبة العلوي، الأول من خلال كتابه نعت البدايات، والثاني من خلال ديوانه الشعري التربوي.

د. محمد عبد الرحمن محمد الدنبجه (موريتانيا).

خبير تسيير الأنظمة التربوية والتكوين، باحث في التصوف، من مؤلفاته: القصة القرآنية، وترجمة كتاب عن الصهيونية (من الفرنسية).

عنوان مداخلته:

روح التسامح في التصوف الإفريقي: تيرنو ببكر ساليف أنموذجا

من يكتب عن تيرنو لا يجد بُدا من الاعتماد بشكل شبه كلي على كتاب «حياة وتعاليم تيرنو ببكر» للمفكر المالي هامباتا با. كما لا مندوحة له من تناول الطريقة التجانية، خاصة الشيخان الحاج عمر طال، والشيخ محمد الأخضر بما أنهما يمثلان رافدين من روافد التجانية في إفريقيا؛ الأول عن طريق محمد الغالي طريقا مباشرا إلى مؤسس الطريقة، والثاني عن طريق الطاهر أبي طيبة من الزاوية التلمسانية. أمر آخر يدعو للاهتمام بهذا الشيخ، كونه كان عُمَريًا (مريدا للشيخ عمر طال) في بداية أمره، ثم مقدَّما، لينتقل بذات الصفات إلى الاتجاه الآخر عن طريق الشَّيخ حماه الله التلميذ المباشر للشيخ الأخضر.

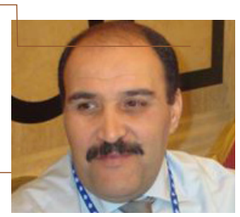

أ. عبد الحق الزموري (تونس).

مدير مركز أبعاد للدراسات المستقبلية. له عديد الكتب والدراسات المنشورة، آخرها ترجمة كتاب «الإسلام السياسي: تيارات مذاهب» الصادر عن مركز جاك بيرك للدراسات الاجتماعية بالرباط

عنوان مداخلته:

الولي والفقيه في إفريقية القرن 16 م من خلال كتب النوازل (كتاب الأجوبة للقاضي عظوم مثالا)

نبحث في واقع التصوف في إفريقية (تونس) في القرن 16 م كمؤسسة اجتماعية والمتصوفة كفاعلين: دورهم في تشكيل الفضاء العمومي؛ تأثرهم وتأثيرهم بـ / في صراعات عصرهم، وذلك من خلال ما نعتقد أنه أهم مدونة تاريخية لتلك الحقبة: كتاب الأجوبة للقاضي عظوم (كان حيا سنة 1600 م) في 10 أجزاء.

وقد قمنا بجرد المصطلحات المستعملة للحديث عن المتصوفة (كالمرابط والفقير والولي ..إلخ)، وبحثنا في أدوارهم الاجتماعية من خلال النوازل التي تعرضت لهم والأجوبة التي احتاجوا إلى عظوم فيها لإعادة تشكيل الوعي الشخصي والممارسة الجماعية والبنيات الصراعية التي أصبح فضاء التصوف طرفا فيها. وكان ديدننا الكشف عن خيوط «التواطؤ» بين الولي والفقيه، لبناء عالم مشترك من التسامح.

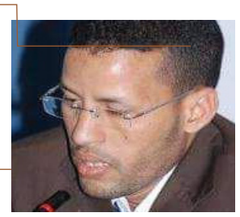

د. الشيخ التجاني أحمدي (موريتانيا).

باحث في الفكر الإسلامي المعاصر. دكتوراه في القرآن وعلومه، له أبحاث في مجلات علمية محكمة، وكتب منشورة، شارك في ما يناهز 15 مؤتمرا دوليا.

عنوان مداخلته:

الرؤية المعرفية في العرفان الإسلامي ودورها في ترسيخ ثقافة التسامح

يبحث هذا البحث في المعرفة الصوفية، التي تهدف لتربية النفس وتزكيتها وتهذيبها عملياً، وتغيير ما بها، وتربية القلب حتى يخلص النية لله.
وهو يبين أن هذه المعرفة تحولت إلى حركة صوفية متسعة وتكاملية، تمتلك نظرية خاصة ورؤية محدّدة لله والإنسان والوجود.

وقد أثرت هذه الحركة ببعديها المعرفي والاجتماعي على المجتمع الإسلامي طيلة القرون الماضية، فقد حاربت هيمنة المادة على الإنسان، وانحطاط القيم الأخلاقية وانتشار الأهواء والصراعات الإيديولوجية على السلطة، وقد وجد الناس في هذه الحركة الحضن الذي يوفر السعادة الوجدانية والراحة النفسية.

وقد اعتنى البحث بإشكالات ماهية المعرفة الصوفية، والتمثل الذي طبع هذه التجربة الإسلامية، كما تتبع مسار نشأتها وتطورها، وعلاقتها بعلم الفلسفة، وإسهامها في إرساء قواعد الحوار والتسامح في الثقافة الإسلامية، كونها جاءت لدرء الجهل بالذات وبالآخر.

د. أحمد كازى (المغرب).

أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية -الجديدة- المغرب، شعبة الفلسفة.
باحث في الفلسفة والتصوف، سيصدر له قريباً كتاب بعنوان:
«الصورة بين الخفاء والتجلي « عند ابن عربي

عنوان مداخلته:

التأمل بين فكر الشرق والتصوف الإسلامي

تشكل الخطابات المتعلقة بما هو روحي وجداني أهم المسالك لممارسة الفكر الحكموي ، وهذا يستدعي وجود عقل منفتح على ما هو متعالي ، وما هو وجودي ، بخلاف العقل المجرد والمنفصل عن الواقع الإنساني. ولهذا، فالفكر الحكموي بتأملاته الوجدانية يهتم بمسألة أساسية وموضوعاً مركزياً، وهو الحياة من أجل الحفاظ عليها و إظهار الإيجابي فيها ، والممثل في العلاقة الإنسانية بين الذوات والتأمل الحكموي بقوته الندرية هو تبجيل لما هو جميل وأحسن وأفضل خارجة تجارب العنف و الشر والقتل و النبذ والإقصاء . هذا الوجه العملي هو المشترك بين التجارب الشرقية البوذية ... والتصوف الإسلامي : إنه ذلك العمق النير الذي لا تختلف حوله الأديان ، وهو أساس وحدتها.

دة. ينصرها بنت بزيد (موريتانيا).

دكتوراه في الأدب العربي، جامعة مولاي إسماعيل، وحدة المرأة والكتابة،
باحثة في الفكر الإسلامي

عنوان مداخلتها:

بعض ملامح التسامح في النصوص الشرعية وفي المناهج الصوفية

إذا كانت لفظة « التسامح» جديدة في قاموس اللغة العربية، فإن مفهوم « التسامح» بما يعبر عنه من تساهل وإيثار وتجاوز وعفو واعتراف بالآخر ودعوته بالتي هي أحسن، كان موجودا ، بل ومأمورا به في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف وفي أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأخلاق صحابته وتابعيه من بعده.

وقد شكلت المدرسة الصوفية « السنية» نموذجا رائعا لهذه الأخلاق ، وجسدتها أروع تجسيد، وذلك بتبنيها مفهوم « الكونية» ، وتساميها عن الأخلاق المذمومة، لتُحِل محلها الأخلاق المحمودة، التي تورث الإنسان اطمئنانا واستقرارا نفسيا مريحا، بعيدا عن الأحقاد والتعصب والتطرف وما يقود إليه ذلك من مآسي ومشاكل أفقدت هذا العالم الآن إنسانيته وكرامته.

د. الشيخ ولد محمد الأمين (موريتانيا).

باحث في الفكر الإسلامي المعاصر. أستاذ في الثانوية وله العديد من الأبحاث في مجال العقيدة والفكر، وله مقالات وديوان شعري عربي، كما أن له كتابات باللغة الفرنسية.

عنوان مداخلته:

مفهوم التسامح في الإسلام ومحاربته للتطرف الديني

إذا كانت المشكلات العظيمة والمعضلات الكبيرة تحيط بنا من كل جانب هذه الأيام، ومن أبرزها قلة فهم ثقافة التسامح وتجنب الآخر، والانكفاء على الذات، فإن أفضل حل لنا هو الرجوع إلى مبادئ الإسلام، ففيها الدواء الشافي.

وفي هذا درسنا منظور الإسلام لمحاربة التطرف، لما تضمنه هذا المنظور من رفض حاسم للتطرف بجميع أشكاله ومحاربته، وتطلعه إلى حفظ الأمن والاستقرار والتواصل السلمي بين الناس، فضلا عن استنهاضه لأمتنا وتوجيه طاقاتها نحو ميادين الخير والصلاح.

ولا يمكن للأمة الإسلامية اليوم، أن تزدهر ما لم تفهم كيفية التطبيق العلمي لحقوق الإنسان، وتحرص على القاعدة الأساسية للتعامل بين المسلمين وغيرهم، لاسيما وأن الأعاصير الاستبدادية المعادية للحرية تتربص بهم الدوائر، وتريد منهم الانقضاض على عناصر هذه الحرية، وفي مقدمتها حق الاختلاف واحترام ممارسته في الحياة اليومية للناس، حتى تأخذ ثقافة التسامح والحق في الاختلاف بالانحسار، وتحل محلها ثقافة الصوت الواحد واللون الواحد والفكر الضال، التي لا تقبل الاختلاف، بل تلقي بالمختلف الآخر في حظيرة التآمر أو الخيانة.

د. محمد أحمد عمي (موريتانيا).

أستاذ متعاون بجامعة العلوم الإسلامية بالعيون – موريتانيا، باحث في علم الاجتماع ومقارنة الأديان

عنوان مداخلته:

الكلام الإلهي والتأويل الإنساني أو من اللغة التواصلية إلى الكتابة الوجودية

اتبعت في هذه المداخلة الخطة التالية:

مقدمة عامة ثم مبحث أول: عنونته بالتأويل، نموذج لممارسة الحرية عند ابن عربي، وقسمت هذا المبحث إلى محورين أساسيين؛ ففي المحور الأول ، تطرقت إلى علاقة التأويل باللغة عند ابن عربي، ثم عنونت المحور الثاني بالتأويل والقرآن، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الجزء الثاني من المداخلة، والذي هو المبحث الثاني الذي كان عنوانه من الحقيقة الوجودية إلى الصورة الرمزية، والذي قسمته هو الآخر إلى محورين؛ ففي الحور الأول والذي عنونته من الفضاء الإيديولوجي إلى الحرية الرمزية قبل أن ندخل في المحور الثاني من المبحث الثاني، والذي كان عنوانه الإنسان والعالم عودة لإشكالية الدلالة (اللغة بين المتواضع عليه والرمز والإشارة) وفي الأخير خلصت إلى خاتمة هذه المداخلة.

د. محمد يحي ولد باباه (موريتانيا).

دكتوراه دولة في الفلسفة، باحث في الفكر الإسلامي، أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة انواكشوط وجامعة العلوم الإسلامية بالعيون

عنوان مداخلته:

التصوف الفلسفي والتاريخي بين التجريد النظري والتجسد الاجتماعي

يعالج العرض المقاربات الفكرية لدلالات التصوف كتجربة روحية عبرت عن ذاتها في صور مختلفة، ويعني ذلك التأرجح في التاريخية الدلالية بين التصوف الفلسفي و التاريخي، كما يعالج التصوف في فهم توظيفه ضمن سياقي الممارسة الفلسفية، والتجسد الاجتماعي العملي، بمعنى سياق بناء الحصون النظرية الموغلة في التجريد، ذات الجوهر الصوفي وسياق التجلي والتخلي والنزوع الحاسرين للتجريد والميسرين لدوائر روحانية متدرِّجة من الممارسات الأكسيولوجية للأفراد المرشحين إلى تجاوز الواقع الحسي إلى الواقع الروحي الإلهي المتعالي الصادم لاختلافه مع أشكال الواقع الأخرى، حتى لكأننا أمام كوجيتو منهجي، مطبق على المستوى الروحي، بين هذين السياقين المتمايزين، ترتسم معالم هذا العرض

د. التاه بن محمدن بن أجمد (موريتانيا).

باحث في الفكر الإسلامي المعاصر حاصل على شهادة الدكتوراه بميزة مشرف جدا. شارك في العديد من الندوات الوطنية والدولية

عنوان مداخلته:

تأصيل ثقافة التسامح في السيرة النبوية: «دراسة نظرية وتطبيقية»

لقد أسست السنة النبوية نظاما دينيا وحياتيا منفتحا، يأخذ بالمسلم إلى أعلى وأرقى الفضائل؛ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق، والتي من أولها السماحة والتسامح، حيث كانت ميزة الإسلام الأساسية السماحة، وهي صفة واقعية تجلت في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- وبعده؛ لذا فإن هذا البحث سيروم تأصيل ثقافة التسامح في السيرة النبوية، وذلك من خلال عرض دروس نظرية من السماحة، وأخرى تطبيقية عملية لمصدر التسامح محمد -صلى الله عليه وسلم- فالتسامح بدأ في التاريخ الإنساني ببعث النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد بلغ مداه، ووصل إلى مستوى متميز، لا نظير له خارج الإسلام.

أ. محمد الحافظ محمد الأمين (موريتانيا).

باحث في الفكر الإسلامي المعاصر له خبرة بالعمل الإعلامي والثقافي، كاتب وباحث له العديد من المساهمات الثقافية والفكرية.

عنوان مداخلته:

التصوف الشنقيطي ومنهجه في التسامح والحوار

تتناول هذه الورقة السجال الفكري بين الفقهاء والمتصوفة والمتكلمين في المجال الشنقيطي/ الموريتاني في القرون الأربعة الأخيرة، وقد ركزت على إبراز روافد التصوف الشنقيطي ذات الأبعاد الأندلسية المغاربية، ثم تناولت خارطة الطرق الصوفية في موريتانيا وما تميزت به كل واحدة عن الأخرى، ثم تطرقت للسجال الفكري شعرا ونثرا مستعرضة أمثلة ونماذج من السجالات الفكرية بين أقطاب التصوف والفقهاء والمتكلمين في فترات مختلفة.

وحاولنا من خلال استثمار الخبرة التاريخية أن نستخرج القوانين التي حكمت ممارسات الحوار الصوفي الكلامي الفقهي، والتي تشكل بحد ذاتها قيما علمية وفلسفية تكرس التسامح والحوار بالحسنى بعيدا عن التعصب والعنف.

مؤمنون
بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث